أحوال المهجرين المسلمين في بلاد الشام والصعاب التي واجهتهم في بلاد اللجوء الإسلامية (١٠٩٨-١٢٩١م/٤٩١-٦٩٠هـ)

أ. عمرو عثمان عبد الرحيم(*)

ملخص

يُلقي هذا البحث الضوء على أحوال المهجرين المسلمين والصعاب التي واجهتم في بلاد اللجوء الإسلامي خلال الفترة من ١٠٩٨م وحتى سنة ١٢٩١م. وفيه يتناول الباحث أوضاع هؤلاء المهجرين الدينية والاقتصادية والاجتماعية والصحية، من خلال الاعتماد على المصادر المعاصرة سواء الغربية والشرقية للوصول إلى حقيقة أوضاع هؤلاء المهجرين.

الكلمات المفتاحية: الحروب الصليبية – بلاد الشام – التهجير – الصعاب.

Abstract

This research sheds light on the conditions of the displaced Muslims in the Levant and the difficulties they faced in the Islamic countries of asylum during the period from 1098 to 1291 AD. The researcher deals with the difficulties that these displaced people faced religiously, economically, socially and healthily and how to overcome them. By relying on contemporary sources, both Western and Eastern.

Keywords: Crusades - the Levant - displacement - difficulties.

مقدمة

يعد نشوب الصراعات والحروب بين الدول بعضها بعضًا من أهم أسباب ظهور مايطلق علية مشكلة المهجرين ،حيث تضطر أعداد غفيرة من السكان إلي هجر وترك ديارهم وأوطانهم إما طوعًا أو كرهًا،تنزح إلي مناطق أخري تلتمس فيها الأمن وتشعر فيها بالأطمئنان علي حياتها ومستقبلها،وتعد عمليات التهجير القسري التي حدثت علي أثر قيام الحملة الصليبية الأولي مثالاً حيًا لتلك المشكلة ،فماكادت أقدام الصليبيين تطأ بلاد الشام حتي بادرت موجات من المهجرين المسلمين تتدفق علي المناطق المجاورة هربًا من بطش الصليبيين ووحشيتهم (١)

فقد استغلت الجيوش الغازية حالة الانقسامات السياسية وتردي الأوضاع الاجتماعية في البلدان الإسلامية، فأقدمت منذ أن وطئت أقدامها أراضي العالم الإسلامي على أسلوب بث الفزع

(*) باحث ماجستير بقسم التاريخ كلية الآداب جامعة الوادي الجديد

بين الأهالي الأمنين، واللجوء إلى ارتكاب مجازر جماعية وحشية بحقهم، عدا عن ممارسة أساليب الضغط النفسي، مثال ذلك حرمانهم من أداء شعائرهم الدينية(٢).

فقد كانت الحروب الصليبية في معناها الأول حرب أبادة وحركة أستعمارية أستيطانية تهدف الي أحتلال بلاد الشام وأستيطانها وتهجير سكانها ليحل محلهم العنصر الصليبي،وأحلال الديانة المسيحية علي المذهب الكاثوليكي محل الديانة الأسلامية(٣).

كان الهدف من سياسة الصليبيين هي اجبار السكان على هجر أراضيهم وتركها، لتفريغ الأرض من أصحابها الشرعيين، تمهيداً لتسليمها إلى العناصر القادمة من الغرب الأوروبي بهدف الاستيطان، وفى ذلك يعلق المؤرخ الصليبى وليم الصوري "ليس هناك بلاء أشد بلاء بالمرء من عدو يكون له بالمرصاد وعلى الأبواب".(٤)

أجبرت المذابح والمجازر البشعة التي ارتكبها الصليبيون في المدن والقرى التي وقعت في قبضتهم عددا كبير من سكان القرى المسلمين الى هجر قراهم وكذلك عدد كبير من سكان المدن التي سوف تتعرض للغزو ويحدث فيها كما حدث في غيرها من المدن التي تم غزوها (٥).

بالرغم من فرار المهجرين من بطش الغزو الصليبي ولجؤهم إلى مناطق اسلامية أكثر أمناً بعيدة عن الخطر الصليبي، إلا أن هؤلاء المهجرين قد تعرضوا للعديد من الصعاب والمشكلات داخل تلك البلاد، لأن أعداد هؤلاء المهجرون إلى تلك المناطق كانت كبيرة، فأثرت على جميع مقومات تلك المدن المضيفة لتلك العناصر المهجرة، وتعددت الصعاب فمنها صعوبات صحية ودينية واقتصادية واجتماعية.

أولا– الصعاب الصحية:

كانت سوء الأحوال الصحية من أكثر الصعاب التي تعرض لها المهجرون داخل بلاد اللجوء الإسلامية، فنتيجة لكثرة أعداد المهجرين فقد كان يموت منهم الكثير، ودليل ذلك عندما ذهب آل قدامة إلى دمشق وقاموا ببناء منازل لهم، قال الحافظ ضياء الدين (سمعت والدتي تقول لما بني في الدير بثلاثة أبيات انتقالنا إليه فكان أخي أبو عمر في بيت والفقيه محمد في بيت وباقينا في بيت وكنا نقول يكفينا بيت واحد فإن الناس يموتون ونحن نموت يعني من كثرة ما كان من الموت.(٦)

وهكذا عاش المهجرون من أل قدامة ظروف سيئة إذ عاشوا في بداية لجؤهم داخل دمشق في جامع وقد ذكروا أن الجامع وقع عليهم، وهو في موقع سهلي رطب على حافة الغوطة

وأصابتهم فيه الأمراض، والواقع أن سوء التغذية والبرد القارس في شتاء دمشق والذي لم يكن يكفي لدفعه عنهم وعن صغارهم ما يجمعه لهم أبو القاسم الصوري من صدقات الجباب والثياب، بالإضافة إلى قلة الأعمال والموارد المعاشية بالنسبة الى جماعة قروية تعودت العمل الزراعي الجبلي ،كل ذلك قد أسهم في التأثير سلباً على المناعة الصحية للجماعة حتى ما تمنها أواخر السنوات الثلاث الأولى لمقامها ثمانية وعشرين نفساً، حتى قام بعض أفراد الأسرة فهرب ببعض أطفالها من الوباء والمرض إلى بلدة داريا في الغوطة، وضاق صدر الشيخ أحمد، شيخ الجماعة واشتهى أن ينتقل الى موضع غيره.(٧)

مما سبق يتضح أن أسرة آل قدامة الجماعلية ومن هجر معها من القرى المجاورة يعد أكثر من خمسين عاماً من وقوع الأراضي الفلسطينية في قبضة الغزو الصليبي، تعرضوا لمتاعب صحية وأمراض شديدة في مدينة دمشق، بسبب ارتفاع نسبة الرطوبة فيها. وانتشار الأمراض والأوبئة الناجمة عن اكتظاظ أعداد المهجرين فيها، ونقص الأدوية العلاجية، على الرغم من وجود البيمارستانات، إضافة الى سوء التغذية وانتشار حالات الفقر والمجاعة، ولابد أن الأعداد الكبيرة من المهجرين والمشردين في بدايات الغزو الصليبي قد واجهتهم ظروف حياة أكثر قساوة وصعوبة من تلك التي ذاقها المهجرون المتأخرون كآل قدامة، سواء من لجأ منهم الى الشام أو مصر أو العراق أو غيرها من البلاد المجاورة.(٨)

وقد تعرضت معظم بلاد اللجوء للكثير من الأوبئة والطواعين التي أثرت بدورها على حياة المهجرين الصحية، ففي عام١١٥٢م/ ٥٤٣هـ وأثناء حصار مدينة دمشق من قبل الصليبيين انتشر مرض الطاعون بعد قيام الصليبيين بتسميم الآبار وردم بعضها، وفي عام١١٥٤م/ ٥٤٧هـ تغير الماء والهواء في دمشق وتعرض أهلها للحمى والسعال بحيث عم الخاص والعام والشيوخ والشباب والأطفال، وضعف أمر المغسلين والحفارين واحتيج إليهم لكثرة الموتى(٩)، وفي سنة ٥٤٩هـ ثار في دمشق مرض مختلف الحميات منه ما يقصر ومنه ما يطول وأعقبه بعد ذلك موت في الشيوخ والشباب والصبيان(١٠)، وفي سنة١١٧٩م/ ٥٧٤هـ حدث وباء عظيم في البلاد مات به كثيرون من سكان دمشق(١١)، وضرب الوباء الشام سنة ١١٨٠م/ ٥٧٥ هـ وفنى من أهل دمشق خلق لا يحصى، وكان سببه مرض السرسام، فقد حصد أرواح الكثير من الناس وكان أهل الشام لا يكادون أن يدفنوا موتاهم(١٢)، وفي سنة ٦٥٦هـ حدث وباء وضرب دمشق ومات خلق كثير وارتفعت الأسعار.(١٣)

ولم يغفل نور الدين عن رفع المستوى الصحي لدى المدن الخاضعة لحكمه، فقرر بناء الكثير من البيمارستانات وجعل عليها الاوقاف، وقام ببناء البيمارستان العام، ووفر فيه جميع أنواع

الدواء للفقراء والمحتاجين، والراجح أن الأعداد الكبيرة من المهجرين، فلم يكونوا يحصلون على العلاج الكافي لهم، بسبب أعدادهم الكبيرة ،الي جانب وجود البيمارستان القيمري وكان لعلاج المهجرين من الفقراء والمحتاجين [١٤]

ومن ناحية أخرى، وفي عصر لم يشهد وعي صحي كبير وعدم توافر الخدمات الطبية وخاصة في المناطق المحيطة بالمدن، كالريف، فنجد أن العناصر المهجرة من الفلاحين الذين يمارسون حرفة الزراعة في بلادهم الأصلية، مارسوها في بلاد اللجوء، نجد أن هؤلاء المهجرين قد حصلوا على قسط وافر من الأمراض الناجمة عن البعوض والقواقع في الأراضي الزراعية على نحو أصابهم بالملاريا، والبلهارسيا، وينبغي أن نلاحظ أنه على الرغم من إقامة العديد من البيمارستانات في المدن الكبيرة في بلاد الشام مثل دمشق وحلب، إلا أن القطاع الفلاحي من المهجرين في المناطق الريفية على ما هو متوقع كانت معاناته مستمرة، ولم يحدث له تغيير جوهري، ولا مراء في أن ذلك الوضع الصحي ساهم بدوره في إضعاف مستوى الحياة الاجتماعية لدى الفلاحين المهجرين.[١٥]

ففي تلك الفترة لم يتوفر فيها الوعي الصحي الكافي الذي يمكن أن يقلل من نسبة الاصابة بالأمراض، بالإضافة إلى أن عدداً من الامراض لم يعرف الاطباء المعاصرون لها علاجاً، اضافة إلى ذلك أن كثيراً ما تردد لدى المصادر التاريخية إشارات متناثرة هنا، وهناك عن انتشار بعض الأمراض بشكل جماعي أو وبائي، ولا جدال في أن ذلك كله ساهم بدوره في إلحاق الضرر بالعناصر المهجرة قسرياً في بلاد اللجوء[١٦]، كما تضرر البيمارستان النوري العام مما أضر بحياة المهجرين في دمشق.[١٧]

من خلال ما سبق يتضح أن حياة المهجرين في بلاد اللجوء كمدينة دمشق تعرضت للكثير من الصعاب نتيجة لسوء الأحوال الصحية، فبسبب حرارة الجو أو قساوة برودته، وعجز المدن المضيفة عن توفير منازل وبيوت لإيواء الأعداد الكبيرة من المهجرين، يقيهم حر الصيف وبرد الشتاء، فضلاً عن عجز تلك المدن في توفير كافة المساعدات الدوائية التي توفر وتؤمن للمهجرين حياة صحية جيدة بسبب كثرتهم، كل ذلك عرض حياتهم وحياة أبنائهم للخطر والموت.[١٨]

ثانيا– الصعاب الاقتصادية:

عاش المهجرون قسرياً في بلاد اللجوء والغربة ظروفاً مادية وانسانية واجتماعية عصيبة، تمثلت منذ بداية الغزو بسرقة الصليبيين لأموالهم من الذهب والفضة والحبوب والزيوت، كما حصل مع سكان عكا وحيفا وقيسارية وغيرها، فقد أشارت بعض المصادر التاريخية المتوافرة أن القوات

الغازية أقدمت على ممارسة أبشع صور التمثيل بجثث الضحايا وحرقها لانتزاع الدنانير الذهبية التي يخبئها الأهالي في ثنايا ملابسهم وداخل أحشائهم[١٩]، وليس من المستبعد أن يكون كثير من سكان الأراضي المقدسة قد حرصوا على أن يكنزوا الذهب والفضة والأموال، وبخاصة بعد أن وصل إلى مسامعهم عن طريق التجار وأصحاب البريد ما حل بسكان الرها وأنطاكية وغيرها من أعمال طرد وتهجير قسري.[٢٠]

ونتيجة لتلك المذابح التي قام بها الصليبيون، وما أحدثته من هول وفزع للكثيرين من أهل المدن مثل الرملة وأرتاح ،ومنيج، ومغادرة وهجر أوطانهم، وما أدى إليه ذلك من ضياع كثير من الأرض والاموال المصادرة من قبل الصليبيين، فضلاً عن ظهور مشكلة المهجرين قسرياً والذين اكتظت بهم بعض المدن الاسلامية، مثل دمشق حيث أصبحت مقراً للمهجرين الذين تكاثفوا بها وصار عدد سكانها ضعف ما تستوعبه مدينة مثلها، وأحل الصليبيون محل السكان المحليون سكان جدد من أبناء الغرب الاوروبي، وقاموا بتكوين مستعمرات استيطانية بهدف السيطرة التامة على تلك البلاد.[٢١]

فعندما جاءت القوات الصليبية فر المهجرون وتركوا أراضيهم واتجهوا نحو المدن ذات الاسوار الحصينة مثل القدس، ونتيجة لفرارهم المفاجئ فإنهم لم يحملوا معهم سوى القليل لا يوالون على شيء سوى حياتهم، فكانت أحوالهم سيئة الى جانب ذلك كانت أحوال بيت المقدس سيئة أيضاً، حتى أن السلطات أجبرت المسيحيين على استضافة هؤلاء المهجرون، بالرغم من قلة ما بأيدي المسيحيين.[٢٢]

والسؤال هنا كيف استطاع المهجرون تسيير أمور حياتهم اليومية في بلاد اللجوء؟

لابد أن الأعداد الكبيرة من المهجرين والمشردين قسرياً في بدايات الغزو الصليبي قد واجهتهم ظروف حياة أكثر قساوة وصعوبة من تلك التي ذاقها المهجرون المتآخرون كآل قدامة، سواء من لجأ منهم إلى الشام أو مصر أو العراق، فعلى الرغم من قلة المصادر التاريخية المتوافرة التي تبين الظروف المعيشية والحياتية التي عاشها المهجرون في الدول الاسلامية، فإن هناك بعض الاشارات التي تتناول ظاهرة الفقر والبطالة الناتجة عن عدم توفر فرص عمل كافية للشباب والرجال القادرين على العمل سواء في فلاحة الأرض وزراعتها أو في القطاعين الصناعي والتجاري، ولعل ذلك يعود الى عاملين أساسيين، أولهما: عدم قدرة القطاعات الزراعية والصناعية أو التجارية على استيعاب الأعداد الكبيرة من المهجرين، وثانيهما: اضطراب الأوضاع السياسية الناجمة عن الغزو الصليبي للمشرق الاسلامي واثارة السلبية على الوضع الاقتصادي.[٢٣]

ظلت الظروف الاقتصادية السيئة تلاحق حياة المهجرين في بلاد اللجوء الاسلامية طوال فترة الاستيلاء الصليبي على الأراضي الفلسطينية وإن طرأ بعض التحسن مع الوقت، وتتضح هذه الصورة مما ورد على لسان ابن جبير عن حال المهجرين في دمشق وحلب وبغداد وغيرها من بلاد اللجوء "بأن المسلمين الذين رابطوا في بلادهم وتصدوا لكل أشكال العنف والتهجير القسري، قد عاشوا رفاهية كبيرة تحت الحكم الفرنجي أكثر منها في الدول الاسلامية[٢٤]، ويؤكد ابن جبير سوء أحوال المهجرين في بلاد اللجوء الاسلامية، فقد تعرض المهجرين في بلاد اللجوء الكثير من المجاعات وسوء الأحوال الاقتصادية، ففضلوا العودة الى ديارهم تحت الحكم الصليبي، رغبة منهم في الحصول على مستوى معيشي أفضل، فعندما سيطر الصليبيون على صور وسمحوا لأهلها بالخروج، فتفرقوا في بلاد المسلمين، ومنهم من استهواه حب الوطن فدعاه إلى الرجوع والسكنى بينهم بعد أمان كتب لهم في ذلك بشروط اشترطوها".[٢٥]

ولكن يأتي ابن جبير في موضع آخر ويعيب على هؤلاء المهجرين الذين فضلوا العودة الى بلادهم وهي في ظل الحكم الصليبي فيقول "وليست له عند الله معذرة في حلول بلدة من بلاد الكفر إلا مجتازاً، وهو يجد مندوحة في بلاد المسلمين، لمشقات وأهوال يعانيها في بلادهم، منها الذلة والمسكنة الذمية، ومنها سماع ما يفجع الأفئدة من ذكر من قدس الله ذكره، وأعلى خطر، لاسيما من أراذلهم وأسافلهم، ومنها عدم الطهارة، والتصرف بين الخنازير، وجميع المحرمات، فالحذر الحذر من دخول بلادهم".[٢٦]

مما سبق يرى الباحث أن عودة هؤلاء المهجرين إلى بلادهم تحت الحكم الصليبي، لم يكن إلا بسبب ظروف قهرية أجبرتهم على العودة، ولعل أهم هذه الظروف سوء الأحوال الاقتصادية التي كانت تعانيها بلاد اللجوء نتيجة للنسبة الكبيرة من المهجرين، فلا أحد يعلم شيء عن الأوضاع التي عاشها هؤلاء المهجرون من سوء الأوضاع الاقتصادية والصحية المتردية، فأما عليهم أن يعيشوا تحت الحكم الصليبي على امل أن يأتي يوماً ويتخلصون فيه من هذا الحكم، وإما أن يبقوا في بلاد اللجوء فتكتب لهم النجاة أو الموت نتيجة لسوء الأحوال في تلك البلاد.

ومما يؤكد ذلك ما حدث لمدينة دمشق من كوارث تسببت في حدوث الكثير من المجاعات وارتفاع الأسعار، وسوء الأحوال الاقتصادية التي أثرت بالسلب على حياة المهجرين داخل هذه المدينة وغيرها من مدن الشام وعلى سبيل المثال لا الحصر منها:-

- حدث في شتاء سنة ١١٢٤م/ ٥١٨هـ احتبس الغيث بأرض الشام، وتلف الزرع، وغلا السعر وعم القحط أكثر البلاد الشامية، وارتفعت الأسعار في هذه السنة في حلب ودمشق وأعمالها وبقى الى سنة١١٢٥م/ ٥١٩هـ وهلك كثير من ضعفاء الناس بالجوع.[٢٧]

وفي عام ١١٥١م/ ٥٤٦هـ عندما حاصر نور الدين دمشق، تعرضت المزروعات للإفساد، وارتفعت الاسعار، وانقطعت السابلة ،وانطلقت ايدي المفسدين، وتزايد طمع المفسدين، مما زاد الضرر بالمهجرين وأصحاب القرى والفلاحين.[٢٨]

وفي سنة ١١٥٤م/٥٤٨هـ حدثت مجاعة في مدينة دمشق، وكان سبب هذه المجاعة عدم وصول الغلات اليها بسبب الظروف السياسية المحيطة، وأمر نور الدين بمنع وصول الغلات اليها، فاضر ذلك بأهلها وبالضعفاء والمساكين وكذلك المهجرين اليها، وبلغ سعر الغرارة من الحنطة خمسة وعشرين ديناراً، وقد وصف ابن القلانس شدة فتك هذه المجاعة بأهالي المدينة وغيرهم ممن هجروا اليها بقوله "وخلا من البلد الخلق الكثير ولقوا من البؤس والشدة والضعف ما أوجب موت جماعة وافرة في الطرقات وانقطعت الميرة من كل الجهات".[٢٩]

وفي سنة ١١٧٨م/٥٧٤هـ انحبست الأمطار في سائر بلاد الشام وغيرها من البلاد الاسلامية ونتيجة لذلك اشتد غلاء بشكل كبير جداً، وحدثت مجاعة شديدة اضطر الناس معها لأكل الميتة، وتبع ذلك وباء عام، كثر فيه الموت، وبيعت غرارة الحنطة بدمشق بعشرين ديناراً[٣٠]، وفي شهر سنة فبراير ١٢٤٦م/ شوال ٦٤٣هـ حدثت مجاعة في مدينة دمشق نتيجة حصار الخوارزمية لها، ويصف ابن كثير هذه المجاعة بقوله "ضاق الحال على الدماشقة، فعدمت الأقوات، وغلت الأسعار جداً حتى انه بلغ ثمن الغرارة ألفا وستمائة، وقنطار الدقيق بسبعمائة، وبيعت الأملاك بالدقيق، وأكلت القطط والكلاب والميتات والجيف، وتماوت الناس في الطرقات، وعجزوا عن الغسل والتكفين، فكانوا يلقون موتاهم في الآبار، حتى أنتنت المدينة وضجر الناس".[٣١]

ويصف المقريزي هذه المجاعة فيقول "ومات كثير من الناس جوعاً، وباع شخص داراً قيمتها عشرة آلاف درهم، بألف وخمسمائة درهم اشترى بها غرازة قمح، فقامت عليه في الحقيقة بعشر آلاف درهم، وبيع الخبز كل أوقية وربع بدرهم، واللحم كل رطل بسبعة دراهم، ثم عدمت الأقوات بالجملة، وأكل الناس القطط والكلاب، والميتات، ومات شخص بالسجن فأكله أهل السجن، وهلك عالم عظيم من الجوع والوباء، واستمر هذا البلاء ثلاثة أشهر، وصار من يمر من الجبل يشتم ريح نتن الموتى لعجز الناس عن دفن موتاهم".[٣٢]

كما حدثت مجاعة أخرى في سنة١٢٦٢م/ ٦٦٠هـ ، واشتد غلاء الأسعار في بلاد الشام بشكل كبير جداً، وخاصة في المدن الرئيسية كدمشق وحلب وحماة، وهلك في هذه المجاعة أعداد كبيرة من الناس، ولعل أهم أسباب حدوث هذه المجاعة هو ما حدث من هجوم الفئران الشرس على الغلات الزراعية في السنة الماضية، إضافة الى الاوضاع السياسية التي كانت سائدة في المنطقة آنذاك(٣٣)، وفي سنة١٢٥٧م/ ٦٥٦هـ حدث وباء في بلاد الشام وغلت أسعار الدجاج والأدوية، والفواكه اللازمة لعلاج المرضى ومن ذلك ما ذكره الذهبي بقوله "أبيع الفروج بدمشق بثلاثة دراهم وبحلب بعشرة دراهم، ومات خلق كثير بحيث أنه قيل إنه خرج من حلب في يوم واحد ألف ومائتا جنازة".(٣٤)

وارتفعت الأسعار في دمشق سنة ٦٥٩هـ، نتيجة لهجوم الفئران على المحاصيل الزراعية، مما أدى إلى ارتفاع سعر القمح فقد أصبح ثمن المكوك في دمشق وحماة أربعمائة درهم، كما استغل تجار الفرنج هذه الفرصة فباعوا ما لديهم من غلال بأسعار مرتفعة، وغلت الأسعار في حلب، وأكلت الناس الميتة والجلود والنعال(٣٥)،كما عانت بلاد الشام في تلك الفترة من الهجوم المتكرر للتتار مما اضطر كثير من الناس الى النزوح وهجر أراضيهم إلى مصر وغيرها من البلاد، ومن أهم الفئات النازحة الفلاحين وعوام الناس مما أثر على الانتاج الزراعي، وما ترتب على ذلك من تدهور الانتاج الصناعي والتجاري.(٣٦)

مما سبق يتضح أن أحوال المهجرين الاقتصادية في بلاد اللجوء قد تعرضت للكثير من المصاعب، فبالرغم من فرارهم من أمام المذابح التي قام بها الصليبيون، إلا أنهم تعرضوا لمصاعب العيشة في بلاد اللجوء الاسلامية، وتسببت الكوارث الطبيعية والظروف السياسية في معاناة المهجرين قسرياً في بلاد اللجوء، فقد تسببت في احداث خلل كبير في النظام الاقتصادي لبلاد اللجوء فقد ألحقت أضراراً فادحة بالقطاع الزراعي والصناعي والتجاري، وأدت الى تضرر الثروة الحيوانية بشكل كبير، وكان لهذه الكوارث تأثيرها المباشر على غلاء اسعار مختلف المواد الغذائية وغيرها من السلع.(٣٧)

فقد عانى أصحاب البلاد الأصليين من تدهور الأوضاع الاقتصادية، وهم أصحاب البلاد وأصحاب الأملاك في بلاد اللجوء، فما بالنا بهؤلاء المهجرين الذين فروا من وجه الغزو الصليبي، لا يبغون شيء سوى الفرار بأرواحهم وتركوا خلفهم ممتلكاتهم وثرواتهم التي كانت سوف تعينهم على معايشتهم في بلاد اللجوء، أو قد يكونوا قد تعرضوا للسرقة أثناء سيرهم الى بلاد اللجوء.

ثالثا – الصعاب الدينية:

عندما هاجمت القوات الصليبية بلاد الشام، هجر الكثير من السكان أراضيهم نتيجة لسوء المعاملة والمذابح إلى جانب الاضطهاد الديني والسياسة التنصيرية، فقد اختلفت مذاهب هؤلاء المهجرون فمنهم من على المذهب الحنفي، الحنبلي، والشافعي، فضرر المهجرون بدينهم على المذهب الذي يسيرون عليه، فقد كان الغالب على أهل دمشق هو المذهب الشافعي، وقد انتشر معه وخاصة منذ نزول السلاجقة بالشام (حوالي سنة ٤٦٠هـ) المذهب الحنفي، أما المذهب الحنبلي فقد كان محدود الانتشار ومع أن الشيخ أبا الفرج الشيرازي الذي نشره في فلسطين ورد دمشق وتوفى بها ودعم انتشاره فيها، إلا أن الناس لم يقبلوا عليه، وكانت رئاسة المذهب فيها لأسرته بني الحنبلي ولبني المنجا، وقد قاسى آل الحنبلي الكثير بسبب مقاومة الشوافع لهم.[٣٨]

فقد أصبح على هؤلاء المهجرين المقادسة في دمشق إلا أن يغطي تقاهم وعلاقتهم الطيبة مع كبارهم على حنبليتهم، وقد كان ذلك ونجح المقادسة في الأمرين، فقد اجتذبوا الناس بالتقى والتدين الى مسجدهم، فكانوا يزورونهم لتلاوة القرآن وقراءة السبع (الذي كان أهمل بالمسجد) وسماع دروس الدين وبلغ من حسن شهرتهم أن زارهم في مسجد أبي صالح الشيخ أبو سعيد عبدالله بن أبي عصرون، قاضي القضاة لدى نور الدين (المتوفى سنة ٥٨٥هـ / ١١٨٩م) وكبير فقهاء الشافعية في عصره والذي بنى له نور الدين كما بنى هو نفسه عدداً من المدارس باسمه في حلب وحماة وحمص وبعلبك ودمشق.[٣٩]

ورأى شيوخ المقادسة أن من المجاملة الطيبة أن يردوا الزيارة لابن أبي عصرون فمشى اثنان منهم "أبو محمد الموفق وأخوة الحافظ عبد الغنى" وحفظوا عليه مسألة من مسائل الخلاف في الفقه، واذا كانت هذه الخطوة قد سرت القاضي فقد أثارت ثائرة آل الحنبلي فراحوا يشنعون عليهم بأنهم أصبحوا أشاعرة.[٤٠]

وإذا علمنا مبلغ الخصومة الحنبلية والأشعرية في بغداد وأن الحنابلة يكفرون الأشعرية عرفنا خطر التهمة التي تعرض لها الشيخان المقدسيان اللذان انقطعا لذلك عن درس ابن أبي عصرون حتى افتقدهما، وخاف بنو الحنبلي على وقفهم أن يأخذه هؤلاء المهجرون الوافدون وجاؤوا يقولون لهم: "ما نخيلكم في المسجد حتى تكتبوا خطوطكم أنكم من تحت أيدينا وأنكم نزلتم علينا ففعلنا".[٤١]

وأراد آل الحنبلي استغلال الفرصة لإخراج الجماعة من المسجد بحجة أنهم صاروا أشاعرة شافعية والمسجد وقف للحنابلة واستعدوا عليهم السلطات ولكن شهادة ابن أبي عصرون وبعض

رجال الحاشية لدى نور الدين بتقوى هذه الجماعة كانت كافية لكي يكتب نور الدين للمقادسة كتاباً رسمياً بتحويل الوقف إليهم، وجاء ابن أبي عصرون اليهم يحمل بنفسه الكتاب وسلم المسجد والوقف.(٤٢)

وفرح المقادسة إلا الشيخ أحمد كبيرهم الذي ضاق صدره وقال: ان هاجرت حتى أنافس الناس على دنياهم ما بقيت أريد أن أسكن ها هنا !! وزاد في ضيقة على ما يبدو وتشنيع بني الحنبلي عليه وخوفه من تشويه صورته الدينية لدى الناس وهي رأس ماله.(٤٣)

على الرغم من المظالم التي تعرض لها سكان القرى الخاضعة للحكم الصليبي، إلا أنهم تحملوا تلك المظالم كنوع من مثابرة النفس على تحمل الشدائد في سبيل البقاء، غير أن الكيل طفح عندما تدخل السادة الاقطاعيين وعرقلوا اقامة الشعائر الدينية، وترك صلاة الجمعة والعمل في الحقول، ونتيجة لذلك فقد هجر السكان المسلمون وطنهم سراء وأسسوا ضاحية الصالحية بالقرب من دمشق وجلعوا همهم الجهاد، وقد كان دافعهم أيضاً هو تحطم هؤلاء الصليبيين وإشعارهم بمدى أهمية وجود هؤلاء الفلاحين وضرورة احترام مشاعرهم الدينية.(٤٤)

ولقد واجهوا الكثير من المشاكل الدينية في بلاد اللجوء ولكنهم بسبب أحوالهم وتدينهم فقد تغلبوا على الكثير من هذه المشاكل.

رابعا – الصعاب الاجتماعية:

حلت بعض النتائج السلبية على المهجرين في بلاد اللجوء وخاصة على المرأة بصفة خاصة، إذ أنه مع الطبيعة العسكرية للنظام القائم في ذلك الوقت، ومع التوسع الخارجي، تزايدت أعداد القتلى والأسرى من الجند، وقد أوجد ذلك على ما يبدو مشكلة اجتماعية هي ظاهرة الترمل، وكثرت هذه الظاهرة أيضاً نتيجة لعمليات الذبح والتقتيل التي قام بها الصليبيون في حق الرجال دون النساء، ووجدت النساء المترملات اللاتي فقدن أزواجهن في ساحات الوغي في بلاد اللجوء، ونتيجة لذلك فإن الدولة النورية قامت بتزويجهن.(٤٥)

وقد تدخلت الدولة في حل تلك المشكلة نتيجة لكثرة أعداد هؤلاء النساء المهجرات، فلو أن أعدادهم كانت قليلة ما فكرت الدولة أن تتدخل أصلاً في حل المشكلة، ويتضح أن النساء المرملات بعضهن انحرف أخلاقياً، بدليل أن الدولة نفسها سعت الى مواجهة الموقف بمثل الصورة، وكذلك الأطفال اليتامى في بلاد اللجوء الذين فقدوا آباؤهم، فقد حرصت الدولة في بلاد اللجوء على علاج أوضاعهم من خلال صرف مخصصات لهم من مال وكساء، ويلاحظ أن ظاهرة التيتم والترمل

داخل بلاد اللجوء جاءت نتيجة لعمليات التهجير القسري التي أجبر السكان تحت الضغط الصليبي على ترك بلادهم نتيجة لقتل أزواجهن وآبائهم.(٤٦)

والدليل على كثرة قتل الازواج في الحرب، أثناء حصارها مدينة عسقلان من جانب الصليبيين، تم إرسال وفد من وجهاء المسلمين لتبادل قتلى الجانبين وكانت أعدادهم كبيرة لدرجة أن هذا العرض لاقى استحسان من جانب القيادات الصليبية في عهد بلدون الثالث.(٤٧)

كما تعرض المهجرون في بلاد اللجوء لمشكلات اجتماعية أخرى منها السرقة، فقد تعرض مهجري مدينة دمشق إلى السرقة من جانب اللصوص ، وبه الحافظ ضياء الدين قال سمعت والدة الإمام أبي عبدالله محمد بن طرخان يحكى عن أباه فيقول "رغب أصحابنا في سكنى الجبل والبناء به، قال الحافظ وسمعت والدي فيما أظن قال كنا نحرس الدير الذي لنا بالليل من الخوف من اللصوص ، قال الحافظ وقد كنت أنا اعرف خوف الناس في الجبل، وأكثر خوفهم كان من أهل وادي التيم فانهم كانوا يأخذون الناس ويبيعونهم في بلاد الفرنج"، يقصد هنا سفح جبل قاسيون الذي أنشأت عليه مدينة الصالحية التي أنشأها المهجرون.(٤٨)

كما تعرضوا للخوف من الحيوانات البرية "قال شيخنا الجمال ابن المرد سمعت شيخنا إلتقى بن قندس وغيره يذكرون أنهم عملوا للدير باباً خوفاً على أولادهم من الذئاب والسباع".(٤٩)

وتعرض المهجرون أيضاً لمصاعب الجوار فإن الجانب الشرقي من دمشق كله (وهو المجاور لمسجد أبي صالح) كان للنصارى يسكنونه منذ ما قبل الفتح (ولا يزالون حتى اليوم) كما كان حي اليهود، الى الجنوب منهم، وكان أهل الباب الشرقي يخرجون ويشربون الخمر، وحاول المقادسة المهجرون أن ينكروا عليهم ذلك فصار أهل الباب يكرهونهم ويحرضون عليهم الصبيان لضربهم بالحجارة ويثيرون لهم المتاعب ويجعلون اقامتهم مملوءة بالضيق.(٥٠).

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد– مجلة علمية محكمة– ديسمبر ٢٠٢٢

خاتمة

توصل البحث إلى عده نتائج يمكن إجمالها في الآتي:

أثبت البحث أن الصراع الصليبي الإسلامي ارتبط بالأرض، حيث شهدت فلسطين إقامة العديد من المستوطنات الصليبية، وذلك على حساب تهجير السكان الأصليين، ولا ريب في أن حركة التهجير القسري وعمليات الاستيطان تكشف لنا عن الطابع الاستعماري للحركة الصليبية.

نجح الصليبيون في تخطيطهم للاستيلاء على بلاد الشام، وطرد وتهجير سكانها، واتبعوا في ذلك وسائل عديدة، فقد استخدموا عمليات القتل الممنهج ضد السكان فضلاً عن عمليات الضغط النفسي والاقتصادي.

تعرضت منطقة بلاد الشام للتغيير في البنية الديموغرافية للسكان، وذلك بسبب ما نتج من عمليات التهجير، فقد تحول الأغلبية إلى أقلية في بعض المناطق، ودخول عناصر جديدة في البنية السكانية، حيث توالت أعداد المهاجرين الوافدين من أوروبا لتسبب خللاً دائماً، وسيوله في التركيب السكاني لفلسطين، فكانت هجرة سكان المدن كانت تتم غالباً بعد سقوطها في يد الصليبيين فتتم بعد ذلك عملية تهجيرهم، الى مناطق أخرى، وقد شملت عملية التهجير جميع السكان في بلاد الشام من مسلمين، ونصارى شرقيين، ويهود، التغير الديمغرافي الذي نتج عن تدفق آلاف المهجرين إلى ديار الإسلام كانت له عواقبه الاقتصادية والاجتماعية والصحية السيئة، وانتشار ظاهرة الفقر والعوز الشديدين، وانتشار الأوبئة والامراض المزمنة بين المهجرين سواء في دمشق أو غيرها.

أثبت البحث، مساهمة المهجرين قسرياً في حركة الجهاد ضد الصليبين الذين طردوهم من أراضيهم.

أوضح البحث الصعاب التي تعرض لها المهجرون أثناء السير الى بلاد اللجوء الإسلامية. حيث تعرض المهجرون لصعوبات دينية واقتصادية وصحية واجتماعية.

حواشي البحث

([1]) محمد محمد عبدالحميد فرحات: اللجوء السياسي في الشرق اللاتيني(١١١٣-١١٩٢م/٥٠٧-٥٨٨هـ)،بحث كلية التربية بالعريش –جامعة قناة السويس، ب–ت ،ص٧٨.

([2]) جلال حسني سلامه: التهجير القسري لسكان فلسطين في العهد الصليبي في الفترة الواقعة بين(٤٩٢-٥٥١هـ/١٠٩٩-١١٥٦م)،مجلة جامعة القدس المفتوحة للابحاث والدراسات ،فلسطين،العدد الثالث عشر،٢٠٠٨م.ص٢٠٣.

([٣]) حسام حلمي يوسف الأغاء: الأوضاع الاجتماعية في فلسطين زمن الحروب الصليبية (٤٩٢-٦٩٠هـ/١٠٩٩-١٢٩١م)،رسالة ماجستير غير منشورة ،الجامعة الأسلامية غزة ،كلية الأداب ،٢٠٠٧م ،ص٨٩.

([٤]) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ترجمة: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط.القاهرة ١٩٩٢م، ج٢، ص١٨٠.

([٥]) ابن العديم: (كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م): زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق: سامي الدهان، ط.دمشق ١٩٥٤م .، ج٢، ص١٤١ – ١٤٣؛ بطرس توديبود: تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، نقله إلى الإنجليزية مع مقدمة وهوامش جون هيوج هيل ولوريتال هيل ، ونقله إلى العربية وعلق عليه حسين محمد عطية ، تقديم : جوزيف نسيم يوسف ، دار المعرفة الجامعية ، ط.الإسكندرية ١٩٩٩م.، ص ١٨٤، وللمزيد أنظر: ريموند أجيل: تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، نقله إلى الانجليزية مع مقدمة وهوامش جون هيوم هيل ولوريتال هيل، نقله إلى العربية وعلق عليه حسين محمد عطية، تقديم : جوزيف نسيم يوسف، دار المعرفة الجامعية ، ط.الإسكندرية ١٩٨٩م.، ص١٢٠؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج١، ص٣٥٩.

([٦]) ابن طولون: (شمس الدين محمد بن علي بن أحمد بن طولون الصالحي ت٩٥٣هـ): القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، تحقيق :محمد أحمد دهمان، الطبعة الثانية، دمشق، ١٩٨٠م، ص٨٢.

([٧]) ابن طولون: القلائد الجوهرية، ص٨، ٧٩- ٨٠ ؛ شاكر مصطفى: مدينة للعلم آل قدامة والصالحية ،دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ،دمشق ،١٩٩٧م، ص١٦- ١٧، وللمزيد عن معرفة اسماء من توفى من المهجرين من آل قدامه أنظر: ابن طولون: القلائد، ص٧٦- ٧٩.

([٨]) جلال حسنى سلامة: التهجير، ص٢١١ – ٢١٢.

([٩]) ابن القلانسى: (أبو يعلي حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي ت ١١٦٠م/٥٥٥هـ): ذيل تاريخ دمشق، مكتبة المتنبي، ط. القاهرة، د. ت، ص٣١٩- ٣٣٠.

([١٠]) ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص٣٣.

([١١]) نعمان القساطلى: الروضة الغناء في دمشق الفيحاء،ط٢،دار الرائد العربي ،بيروت –لبنان،١٩٨٢م، ص٥٠.

([١٢]) ابن الاثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق:عبد القادر أحمد طلمبات، دار الكتب الحديثة القاهرة،١٩٦٣م، ص١٧٩؛ سلطان جبر سلطان: الكوارث الطبيعية في بلاد الشام في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي وبعض أبعادها الاقتصادية والاجتماعية، بحث آداب الرافدين- العدد ٤٣، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م، ص١٩.

١. السرسام: ورم في حجاب الدماغ تحدث عنه حمى دائمة. وتتبعها أعراض رديئة كالسهر واختلاط الذهن. ابن كثير: (الحافظ عماد الدين إبي الفداء أسماعيل ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي

ت ٧٧٤هـ): البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي،ج١٦ ، دار الهجرة للطباعة والنشر، ١٩٩٨م، ج١٦، هامش (٢)، ص٥٢٩.

(١٣) قطب الدين اليونيني : (قطب الدين موسى بن محمد ت ٧٢٦هـ): ذيل مرآة الزمان، المجلد الثانى، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند ١٩٥٥م، ص٩١.

(١٤) ابن جبير: (محمد بن أحمد ت ٦١٤ أو ٦١٦هـ/١٢١٧ أو ١٢١٩م): الرحلة، دار صادر، ط.بيروت د.ت.، ص٢٥٥؛ابن طولون: القلائد الجوهرية، ص٣٤٦-٣٤٧؛ محمد نجيب عبدالوهاب محمد حمد: السياسية الداخلية لنور الدين محمود، ص١٦٦، وللمزيد عن البيمارستانات في حلب ودمشق أنظر ص ١٦٦- ١٦٩؛ أحمد رمضان أحمد محمد: المجتمع الإسلامي، ص١٥٩-١٦١، ولمعرفة مصروفات البيمارستان القميري أنظر:أحمد رمضان أحمد :سابق،ص٣٣٧،أنظر: الملاحق ضمن الرسالة (ملحق رقم ٥) ؛ معاذ محمد سلامة الوخيان: النظم الداخلية في مملكة نور الدين محمود زنكي (٥٤١- ٥٦٩هـ/ ١١٤٦- ١١٧٤م)، رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة آل البيت ،كلية الأداب العلوم ،قسم التاريخ الإسلامي ،٢٠٠١م،ص١٥٠، وللمزيد أنظر ص١٥١- ١٥٤، وللمزيد عن البيمارستانات أنظر سعيد عاشور: المجتمع الاسلامي في بلاد الشام على عصر الحروب الصليبية، بحوث تاريخ الاسلام وحضارته، الطبعة الأولى، دار الوزان للطباعة والنشر، ١٩٨٧م، ص٣٩٣-٣٩٤.

- والبيمارستان القيمري: أنشائه الامير الكبير سيف الدين ابو الحسن يوسف بن ابي الفوارس بن موسك القيمري الكردي أكبر أمراء القيامرة ، كانوا يقفون بين يدية كما تعامل الملوك، ومن أكبر حسناتة وقفة البيمارستان القيمري علي سفح جبل قاسيون، ولم يكن له مثيل من البيمارستانات الاخري في أيامه،فقد أنفق عليه اموالاً هائلة ،كما حبس عليه الكثير من الأوقاف والأملاك من قري وبساتين وطواحين،أنظر: ابن طولون :القلائد الجوهرية ،ص٣٤٦-٣٤٧.

(١٥) محمد مؤنس عوض: في الصراع الإسلامي – الصليبي، السياسة الخارجية للدولة النورية (٥٤١ – ٥٦٩هـ / ١١٤٦- ١١٧٤م)، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ١٩٩٨م، ص٢٥٨، : الزلازل في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية،القاهرة،١٩٩٦م، ص١٤٠- ١٤١؛وللمزيد عن البيمارستانات أنظر : سلطان جبر سلطان :جهود العلماء المسلمين في دعم مؤسسات المجتمع المدني في عصر الحروب الصليبية (٤٩٠-٦٩٠هـ/١٠٩٦-١٣٩١م)،بحث أداب الرافدين،العدد(٤٠) ،العراق،٢٠٠٥م.

(١٦) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٣١٩؛ مؤنس عوض: الزلازل في بلاد الشام، ص١٤٠- ١٤١.

(١٧) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٦، ص٧٠٦.

(١٨) جلال حسنى سلامة: التهجير، ص٢١١.

([١٩]) فوشيه الشارترى: الوجود الصليبي في الشرق العربي(الاستيطان الصليبي في فلسطين) ترجمة: ودراسة قاسم عبده قاسم، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠١م، ص١٣٧- ١٧١.

([٢٠]) جلال حسنى سلامة: التهجير، ص٢١١.

❖ ([٢١]) ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص١٣٦؛ ابن طولون: القلائد الجوهرية، ص٣ ؛ ابن جبير: الرحلة، ص٢٥٥؛ على السيد على: العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين، ط.القاهرة ١٩٩٦م، ص١٥٥- ١٥٦.

([٢٢]) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٢، ص١٠٣.

([٢٣]) جلال حسنى سلامة: التهجير، ص٢١٢.

([٢٤]) ابن جبير: الرحلة، ص٢٧٤- ٢٧٥.

([٢٥]) ابن جبير: الرحلة، ص٢٧٩.

([٢٦]) ابن جبير: الرحلة، ص٢٧٩- ٢٨٠.

([٢٧]) ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق ، ص٢١٢.

([٢٨]) ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص٣١٢- ٣١٣.

([٢٩]) ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص٣٢٥.

([٣٠]) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٦، ص٥٢٩ ؛ ابن الاثير: الكامل، ج١٠، ص٩٢.

([٣١]) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٧، ص٢٧٨- ٢٧٩، وللمزيد أيضاً أنظر: العماد الحنبلي: (شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي ت ١٠٨٩هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق وتعليق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط.دمشق- بيروت ١٩٨٩م.، ج٧، ص٣٧٦؛ الذهبي: (الحافظ شمس الدين ،أبو عبدالله محمدبن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبدالله التركماني الأصل ،الفارقي ،ثم الدمشقي الذهبي ت ٧٤٨هـ) :العبر في خبر من غبر ،(٣١٩-٥٤٦هـ)،تحقيق :أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ،دار الكتب العلمية بيروت -لبنان ،١٩٨٥م، ج٣، ص٢٤٤.

([٣٢]) المقريزي: (ت ١٤٤٢م/٨٤٥هـ) تقي الدين أحمد بن علي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية ط.بيروت ١٩٩٧م، ج١، ص٥٢٤.

([٣٣]) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٧، ص٤٣٩؛ اليونينى: ذيل مرآة الزمان، ج١، ص٤٩٢؛ المقريزي: السلوك، ج١، ص٥٤١؛ محمد حمزة محمد صلاح: الكوارث الطبيعية في بلاد الشام ومصر(٤٩١-٩٢٣هـ/١٠٩٧-١٥١٧م)،رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب -الجامعة الإسلامية بغزة،٢٠٠٩م، ص١٨٤.

([٣٤]) الذهبي: تاريخ الأسلام ووفيات المشاهير والأعلام حوادث ووفيات ٦٥١-٦٦٠،تحقيق :عمر عبدالسلام تدمري،دار الكتاب العربي ،بيروت- لبنان،١٩٩٩م، ج٤٨، ص٤٢.

(٣٥) ابن أيبك: كنز الدرر، ج٨، ص٨٥، ٦٩؛ المقريزي: السلوك، ج١، ص٥٢٥.

(٣٦) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٧، ص٤٣٩؛ اليونينى: ذيل مرآة الزمان، ج١، ص٤٨٦– ١٨٨؛ المقريزي: السلوك، ج١، ص٥٤١– ٥٤٥.

(٣٧) محمد حمزة محمد: الكوارث، ص٢٩٧، وللمزيد عن آثار الكوارث على حياة المهجرين في بلاد اللجوء الاسلامية أنظر: محمد حمزة محمد: الكوارث، ص٢٩٧– ٣٢٦.

(٣٨) عبدالقادر بن محمد النعيمي الدمشقي (ت٩٧٨هـ) : الدارس في تاريخ المدارس، أعد فهارسة: ابراهيم شمس الدين، ج٢، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٩٠م، ص٥١.

(٣٩) ابن طولون: القلائد الجوهرية، ص٧٩؛ الحنبلي: شذرات الذهب، ج٦، ص٤٦٥ – ٤٦٦.

(٤٠) ابن طولون: القلائد، ص٨٠ ؛ لؤى بواعنه: : دور العلماء المسلمين في مقاومة الغزو الفرنجي (الصليبي) للمشرق الإسلامي (٤٩٠– ٦٤٨هـ / ١٠٩٧– ١٢٥٠م)،رسالة دكتوراة غير منشورة ،كلية الدراسات العليا ،الجامعة الأردنية،٢٠٠٦م، ص٨٢– ٨٣.

(٤١) ابن طولون: القلائد الجوهرية، ص٧٩– ٨٠ ؛ شاكر مصطفى: آل قدامه، ص١٨؛ لؤى بواعنه: دور العلماء المسلمين في مقاومة الغزو الفرنجي، ص٨٢– ٨٣.

(٤٢) ابن طولون: القلائد، ص٧٩ ؛ لؤى بواعنه: دور العلماء، ص٨٣.

(٤٣) ابن طولون: القلائد، ص٨٠ ؛ شاكر مصطفى: آل قدامه، ص١٨.

(٤٤) ابن طولون: القلائد، ص٦٨ – ٧٠ ؛ على السيد على: العلاقات الاقتصادية، ص١٨١.

❖ (٤٥) محمد مؤنس عوض: في الصراع الإسلامي–الصليبي، السياسة الخارجية للدولة النورية (٥٤١–٥٦٩هـ/١١٤٦–١١٧٤م)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط.القاهرة ١٩٩٨م، ص٢٦٠.

(٤٦) ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢، ص٣٤٠ ؛ مؤنس عوض: السياسة الخارجية، ص٢٦١.

(٤٧) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٣، ص٣٤٧– ٣٦٨.

(٤٨) ابن طولون: القلائد الجوهرية، ص٨٣، وللمزيد أنظر محمد مؤنس عوض: السياسة الخارجية للدولة النورية، ص٢٥٩– ٢٦٠.

(٤٩) ابن طولون: القلائد الجوهرية، ص٨٤.

(٥٠) ابن طولون: القلائد، ص٨٥ ؛ شاكر مصطفى: آل قدامة، ص١٩.